خصائص الفقه القرآني ومميزاته

اعداد

الشيخ جواد الفرطوسي

المقدمة

ان اتفاق المسلمين جميعا بان القران الكريم هو اول مصادر التشريع يجعل عددا من علماء الاسلام وعلماء المذهب خاصة ينتقدون ما سار عليه الفقه على طول التاريخ من بُعد ملحوظ عن تأصيل القران الكريم والآيات القرآنية التشريعية في عملية الاستنباط للأحكام الشرعية .

مع اننا نجد ان الاصوليون يعتمدون في رجوعهم الى الآيات القرآنية على خطوات للوصول الى تأصيل النص القرآني والاستنارة به فضلا عن القواعد الفقهية التي تغطي مساحات واسعة من الحاجة الى معرفة الحكم الشرعي .

بالإضافة الى القواعد التشريعية في المواد الجزئية مع ان طريقه البحث القرآني واسلوبه في التشريعات لم يكونا على غرار الطريقة والاسلوب الملحوظين في بعض كتب الاديان السماوية السابقة بل تعد الطريق القرآنية في البيان وكيفيه العرض والتقديم طريقه فريده من نوعها ومغايره لغيرها من الطرق وبذلك نجد لها مميزات وخصائص خاصه جدا تتسم بها المباحث التشريعية على غير ما طرحته الكتب التي تعرضت لمعالجه المسائل الفقهية والحقوقية ويعتبر هذا التميز والتفرد في الاسلوب الفقهي القرآني هو السبب الرئيس وراء كل الاختلافات الجذريه بينه وبين الكتب الاخرى وممكن ملاحظه ذلك بعد عرض ما يذكره العلماء في مؤلفاتهم من تلك الخصائص والمميزات .

خصائص الفقه القراني ومميزاته

قال اهل اللغة:

خاصيه : نسبه الى الخاصة ميزه صفه جمعها خصائص و خاصيات[١]

الفقه : الفهم والفطنة والعلم وغلب على علم الشريعة و في اصول الدين[٢]

ميزه : مما يمتاز به من صفه او خاصيه[٣] وجمعه مميزات.

فيمكن تعريف خصائص الفقه القرآني ومميزاته اصطلاحا : (اقول: هي مجموعه من الخطابات التي انفرد بها القران الكريم في عرض المنظومة الفقهية التشريعية عن غيره من الكتب السماوية وغيرها.)

---

١ - معجم الرائد –مادة –خاصية

٢ - المعجم الوسيط –مادة –فقه

٣ -معجم الرائد –مادة –ميزة

لقد عدّ مؤلف كتاب ((فقه القران المبادئ النظرية لدراسة آيات الاحكام)) للسيد محمد علي ايازي خصائص الفقه القرآني فكانت ٧ بينما نرى الدكتور جاسم محمد علي الغرابي قد دمج بين اثنتين منها فكانت ٦ في محاضرات او عدت لطلبة كليه الفقه جامعه الكوفة بعنوان(مباني تفسير آيات الاحكام) بعد ان فصل بها ، مع انه ذكرها سبعه عند الاجمال وهي كما ذكرت مجملا قبل توضيح كل ميزه على حده :

او لا : العموم والكلية

ثانيا : الخطاب المتفرق

ثالثا: المرونة والانعطاف

رابعا : التداخل والاتصال

خامسا : الخطاب المرغب والمشوق

سادسا : التنوع في الصيغ والالحان

سابعا : التنوع في ايات الاحكام[١]

وقد جمع الدكتور الغرابي بين الميزة السادسة والسابعة عند تعرضه لتفصيلها وذكر امثله لها [٢]

خصائص الفقه القراني ومميزاته

١- العموم والكلية :

ان من الخصوصيات والمميزات الواضحة في القران الكريم هي بيان الاحكام على نحو الاجمال و تجنب الدخول في خصوصياتها و في تفاصيلها الجزئية والخاصة ولاسيما تفاصيل المسائل العبادية مع انه لم يقتصر على بيان القران للأحكام بل هو الاسلوب المتبع في كافه المقامات و الجوانب التي تعرضت لها آيات الاحكام .

و ما يبعث على التأمل هو الاكتفاء بالقواعد العامة و العقلانية ، بل المتناهية في العموم والاجمال من قبيل قوله تعالى : (اوفوا بالعقود) [٣] وقوله تعالى:(تجارة عن تراض)[٤] الاكتفاء بها في مقام بيان كثير من الاحكام المسائل في باب المعاملات وعدم الولوج في التفصيلات ، كما هو الحال في ذكر الصلاة قال تعالى:(... واقم

---

[١] -فقه القرأن –محمد علي ايازي – ص ٣٨
[٢] مباني تفسير ايات الاحكام – جاسم الغرابي –ص ٣١
[٣] -المائدة –اية - ١
[٤] -النساء –اية -٢٩

الصلاة لذكري...)[1] وقوله تعالى: (واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) [2] فلم تتعرض الآيات لتفصيل شيء من جوانبها الكميه والكيفية فيها من قبيل عدد ركعاتها وكيفيه الشروع بها وطريقه ادائها وغيرها ، بل لم تكن سائر العبادات من الصيام والزكاة والحج والخمس في بيانها القرآني افضل حالا بل اقتصر على بيان اصل الحكم والوجوب او احكام كليه ومسائل عامه اجماليه . وهذا الاسلوب ليس الوحيد في القران الكريم من الملاحظ ان الآيات هي بعينها لم تمتنع عن الشرح والايضاح والتفصيل في كثير من المسائل الاخرى ، بل وصل الامر الى حد التكرار كما في بيان آيات المبدأ والمعاد او الاسلوب المتبع في القصص القرآني. فيمكن للفقيه ان يستفيد من هذا الايجاز القرآني ومن هذا البيان الكلي والعام في الوقت على الخطوط الأساسية و الاطار العام للشريعة والاحكام وقد ذكر بالإمكان الاستفادة من ميزه العموم هذه في كافه المجالات وقد اعتبرت دليلا قاطعا على خلود القران وبقائه واستمراره وعلى مقدار فعاليته ودوام الانتفاع به.

٢- الخطاب المتفرق :

يعد البيان المتشدد والتصوير المتقطع للأحكام الفقهية في طريقه العرض القرآنية من المميزات الواضحة والملفتة للنظر حيث تتوزع الاحكام الخاصة بموضوع معين على مجموعه من السور القرآنية، بحيث لو اراد الفقيه استخراج احكام موضوع معين عليه جمع تلك الآيات والنظر بها للاستنباط بعد الالمام التام بحيثياتها كما في الآيات الخاصة بالصلاة ، مثل : الآية ٢٣٨ من سوره البقرة قال تعال : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) اذ تتحدث عن الحفاظ على الصلاة وبالخصوص الوسطى . والايه ٢ من سوره المؤمنون اذ تم التعرض لمساله الخشوع في الصلاة قال تعالى : (الذين هم في صلاتهم خاشعون) وفي الآية ١٤٢ من سوره البقرة الحديث عن لزوم استقبال القبلة في قوله تعالى : (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط المستقيم) وقد تكون بعض السور تحمل اسم خاصا لا ربط له بالأحكام الواردة في آياتها من ينطبق على آيات في سور اخرى مثل موضوع الحج واحكامه فهو في سوره غير سوره الحج وكذلك الطلاق لم نجد كل احكامه في نفس السورة التي حملت اسمه . ونجد ان عرض الاحكام في السورة الواحدة لا يكون عرضا منظما ومرتبا بطريقه ومنهج منطقي علمي ، كما في احكام الارث في سوره النساء كما في الآيات ٧، ١١، ١٢ ، ٩ ، ٣٣ وهكذا .

---

[1] -طه – اية – ١٤

[2] البقرة – اية - ٤٣

وقد انفرد القران الكريم بهذه الطريقة في البيان والاستعراض ، وهي من ابرز مميزات الكتب السماوية.

وان قيل انها جاءت بهذه الصورة لكون نزول القران كان بشكل تدريجي متقطع توزع على سور عده مختلفة و على طول سنين كثيره متمادية الا اننا نرجح القول الذي يشير الى ان القران الكريم في اثناء بيانه لحكم مساله ما ، كان يستغل الفرصة لمعالجه كافه جوانب هذه المسالة الأخلاقية والعقدية ، وبالتالي تكون طريقه التفرق والتشتت هي المتبعة في طرح الابحاث و المسائل الفقهية وهي تصب في تشويق المخاطب للتعرف على احكام دينيه.

٣- المرونة والانعطاف:

ان مما انفرد به البيان القرآني للأحكام وكانت من خصوصياته هي اعتماد المجمل وترك التعيين في كثير من احكام الدين وتشريعاته. وان اغلب الاحكام لم يكن بيانها على شاكله التفصيل كما في غيره ، بل كانت بصوره مبهمة وملتبسة ومن اراد الاستنباط منها سيواجه كما هائلا من الاحتمالات كما في تفسير مضمون الآيات التي تحدد وقت الصلاة كما في قوله تعالى : (واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل)[١] فقد ذكر المفسرون احتمالات عده بشان طرفي النهار فهل هي (الصبح والمغرب او الصبح والعشاء او الصبح والعصر او الصبح والظهر)[٢] وكذا مساله الصيام في قوله تعالى :(... حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل...)[٣] فقد اختلفوا في تحديد وقت بداية الصيام وانتهائه[٤] .

وكذا في احكام الحج الآية ١٩٦ من سوره البقرة حيث اتمام الحج والعمرة والاحصار و بلوغ الهدى و غيرها من الاحكام.

ويشير الدكتور جاسم الغرابي في محاضراته(مباني تفسير آيات الاحكام) الى ان هذا الاجمال هو احاله من الله سبحانه وتعالى الى السنه الشريفة لتقوم بدورها المبين والمفصل لنص القران حتى لا يقول قائل: حسبنا كتاب الله ![٥]

٤- التداخل والاتصال :

---

[١]- هود – الاية ١١٤

[٢]- فقه القران – محمد علي ايازي ص ٥١

[٣] -البقرة –اية ١٨٧

[٤]- فقه القران – محمد علي ايازي – ص ٥٢

[٥] - مباني تفسير ايات الاحكام – جاسم الغرابي ص ٣٥

ان من مميزات القران الكريم هي تداخل الاحكام الفقهية بالمباحث العقدية والأخلاقية، وتلك التي تحتوي على مفاصل الرؤية الكونية القرآنية وفي الواقع .

حيث نجد القران الكريم يستهل الكلام بالحديث عن حكم فقهي ثم يتركه لينتقل الى الحديث عن الحكم الفقهي راسا ليتطرق للكلام حول مساله عقديه ليبين اثر ذلك نتيجتها من الناحية الأخلاقية ، ثم يعود مجددا الى تكمله الحكم الفقهي، ليذكر فرعا اخر من فروعه وتفصيلاته ومثال ذلك الآيات التي تتحدث عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الآية ١٠٤ من سوره ال عمران حيث تلتها الآية التي تنهى عن الفرقة والاختلاف الآية ١٠٥ من سوره ال عمران قال تعالى: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) والتي تلتها تتحدث عن البعث و يوم القيامة والعاقبة وغيرها كما في قوله تعالى: (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم) [١]وهكذا في غيرها من الآيات ، فان هذا التداخل الذي يمكن ان يرى في كثير من احكام القران مما سوغ التعرض لمباحث عقديه وأخلاقية متنوعه في اثناء التعرض لها والحديث عنها .

٥ - الخطاب المرغب والتشويقي :

ان من خصوصيات القران الكريم استعراضات للأحكام الفقهية والتشريعية بطريقه محفزه وبيان يشوق السامع ويدفعه نحو العمل والتطبيق .

فان القانوني والفقيه في كتبهما يقصران الدور المنوط بهما على بيان الحكم للمخاطب وتحديد وظيفته العملية ، ولا علاقه لهما بما هو ازيد من ذلك ،

واما القران الكريم فهو يبين الاحكام بكلام مشوق وجذاب معتمدا على الترغيب تارة و على الترهيب اخرى وبنبره قد تعلو وتهبط بما ينسجم ويتناقض مع اهميه الحكم المبين، بل يمكن للحن الانذار ان يعلو ويرتفع وللهجته ان تشتد وهو ما يجعل طريقه بيان المسالة وكيفيه عرضها وتوصيفها امرا مفيدا في مجال استكشاف مدى خطورتها والاطلاع على درجه حساسيتها .

ولكن الاكثر اهميه من بين الآيات التي تكشف عن تلك الخصوصية التي انفرد به القران الكريم من الخطاب القران الترغيبي هي تلك التي يغلب على بيان الاحكام فيها الطابع الجزائي والمكافاتي والتي يخصص الباري تعالى فيها جزاءا واجرا بإزاء كل عمل، بحيث انه يفرض عليه ان يتدبر جيدا في عواقب كل فعل قبل ان يقدم عليه و

---

[١] -ال عمران –اية – ١٠٦

انه يركز على الجنبة العملانية للتكاليف والاحكام ويروج لإصالة تطبيقها وامتثالها على ضوء النتائج والثمرات المرسومة والمحدد لها .

ومن امثلتها :

قوله تعالى: (فاذكروني اذكركم)[١]

قوله تعالى: (من يعمل سوءا يجز به)[٢]

قوله تعالى : (ومن عاد فينتقم الله منه)[٣]

قوله تعالى : (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)

قوله تعالى: (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)[٤]

٦ - التنوع في الصيغ والالحان :

من المميزات التي تميز البيان القراني ونزلته هذه المنزله الفريده انه خطاب تتعدد فيه الصيغ اللفظيه وتوظف فيه مختلف اشكال التعبير للدلاله على مطلب واحد ، وهو الوظائف الملقاه على عاتق المكلفين . ففيه تعابير التبشير والانذار وتعابير الوعد والوعيد وتعابير الاحكام الجزميه والارشاديه والوصفيه .

كما في صيغ الاحكام الوجوبيه لم يعبر بالامر والوجوب ومشتقاته في كثير منها بالكلمات من قبيل : (كتب)[٥] و(كتابا)[٦] و(فرضناها)[٧] و (خير)[٨] وهكذا او في صيغ الاحكام التحريميه لم يعبر كثير منها بلفظ التحريم والنهي صريحا ومشتقاته .

---

[١] -البقرة – اية – ١٥٢
[٢]- النساء -اية - ١٢٣
[٣] - المائدة اية ٩٥
[٤]- النساء - اية – ٣١
[٥] - البقرة – اية - ١٨٣
[٦]-النساء –اية - ١٠٣
[٧] - الاحزاب اية - ٥٠
[٨] - البقرة –اية - ٢٢٠

بل بكلمات من قبيل : (الويل) في قوله تعالى: (ويل للمطففين)[1] وقوله تعالى : (ويل لكل همزه لمزه)[2] وقد ذكرت اسباب كثيره لهذا التنوع نذكر منها عاملين مهمين هما :

اولا : الجانب الارشادي.

ثانيا : التدرج في تبليغ الاحكام.

٧ - التنوع في ايات الاحكام :

ان تصنيف عبارات القران الكريم الى جمل و مقاطع متنوعه على اساس التنوع في الطريقه التي يتعامل بها الفقهاء مع ايات الاحكام عند مزاولتهم لعمليه الاستنباط تعد مميزات وخصائص القران الكريم ، حيث نجد القران الكريم يوجه الخطاب في الامر والنهي بشكل مباشر للنبي (صلى الله عليه واله) مع كون اللحن الذي يحمله لحنا يلهج بكونه خطابا صادرا في مقام التشريع . واخرى نرى استخدام الجمله الخبريه في مقام التشريع بدلا من الجمله الانشائيه وبمحاذاتها. ومنها الايات التي تعالج قضايا اخلاقيه او عقديه او الايات التي تتناول القضايا الكونيه او القضايا التي يستفاد منها الحكم لامر تاريخي واقع او اثبات حكم من نقيضها وهكذا .

والحمد لله رب العالمين

---

[1] -المطففين – اية - ١

[2] - الهمزة – الاية – ١